

أضواء البيان

@ 195 \$ 1 (سورة التغابن) \$ 1 .

7 ! 7 ! قوله تعالى : { يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْعِزَّةُ وَالْهُدَى وَلَهُ الْخَزَائِفُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } . تقدم معنى التسبيح ومدلول ما في السماوات وما في الأرض في أول سورة الحشر والحديد ، وهذه السورة آخر السور المفتحة بالتسبيح . والفعل هنا بصيغة المضارع الدال على التجدد والحدوث . والتذييل هنا بصفات الكمال □ تعالى بقوله : { لَهُ الْعِزَّةُ وَالْهُدَى الْخَزَائِفُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } للإشعار بأن الملك □ وحده لا شريك له : نافذ فيه أمره ماض فيه حكمه بيده أزمة أمره ، كما في قوله تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْعِزَّةُ وَالْهُدَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } وكقوله في سورة يس : { إِنَّا نَسَمَاءَ آمَنُوهُ إِذْ آتَا أَرْأَدَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } . ومن قدرته على كل شيء ، وتصريفه لأمر ملكه كيف يشاء ، أن جعل العالم كله يسبح له بحمده تنفيذاً لحكمة فيه ، كما في قوله : { لَهُ الْخَزَائِفُ وَالْهُدَى وَالْإِيمَانُ خِرَّةٌ وَلَهُ الْخُكُومُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } ، فجمع الحمد والحكم معاً لجلالة قدرته وكمال صفاته . قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } . قال الشيخ رحمة □ تعالى علينا وعليه ، في مذكرة الدراسة : المعنى أن □ هو الذي خلقكم وقد رَّ على قوم منكم الكفر ، وعلى قوم منكم الإيمان ، ثم بعد ذلك يهدي كلاً لما قدره عليه كما قال : { وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى } فيسر الكافر إلى العمل بالكفر ، ويسر المؤمن للعمل بالإيمان ، كما قال صلى □ عليه وسلم : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ا ه . . . ومن المعلوم أن هذا النص من مأزق القدرية والجبرية ، وأن أهل السنة يؤمنون أن كلاً بقدر □ ومشئته . كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية : وهم أهل السنة وسط بين